الدور البريطاني وصياغة السلوك الفرنسي في سوريا شباط ١٩٤٥-آب ١٩٤٥

م . د . محمد حسين زبون / كلية التربية /جامعة ميسان
م . د . رسول شمخي جبر/ كلية الآداب/ جامعة ذي قار
thiqaruni.org

المقدمة

في الوقت الذي لم تغب عن بال الدول العظمى التي تصدرت مسؤولية قيادة العالم عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ وما تمخض عنها من نتائج انعكست وبشكل واضح على دول الشرق بشكل عام وبعض الدول العربية ذات الخصائص الاستراتيجية بشكل خاص ، فكرة التلاعب بالوعود والمواثيق التي ضمنت لها "الدول العربية" الاستقلال السياسي والخلاص من الاحتلال ،كانت تفكر ايضاً وبصورة جدية بقضية فرض النفوذ والحصول على امتيازات متقدمة في هذه البلدان ومنها سورية، الأمر الذي يؤكد الحقيقة التاريخية بأن حالة التنافس بين دول الحلفاء ولاسيما بريطانيا وفرنسا لاتقل شأناً عن التنافس العسكري القائم بين دول المحور والحلفاء ، وهذا بدوره يشير وبصورة موضوعية الى هشاشة المواثيق والوعود الصادرة من تلك الدول بشأن استقلال الدول العربية .

لقد اندرجت ظاهرة الصراعات الخفية بين دول الحلفاء نفسها ضمن اطار الصراعات العلنية بين دول المحور والحلفاء، الامر الذي ادى الى تركها وعدم الوقوف عندها ولهذا فقدت بعض الحلقات المهمة والتي من شأنها ان تكون احد اهم اساسيات كشف الحقائق المدروسة وتحديد ما يمكن تحديده من المنافذ العامة للعلاقات الدولية بوجهها الصحيح .

ولهذه الدواعي جاءت هذه الدراسة لتكون جزءاً من معالجات ظاهرة الصراعات الخفية بين دول الحلفاء ، لاسيما بين فرنسا وبريطانيا على الساحة السياسية السورية للحقبة بين شباط ١٩٤٥ - اب ١٩٤٥ .

تناول البحث جملة من المواضيع اولها التوطئة وهي التمهيد الزمني للموضوع ،كذلك الموقف البريطاني من المفاوضات الفرنسية السورية، كما تطرق لموضوع الاستفزازات العسكرية الفرنسية المباشرة والموقف الرسمي والشعبي السوري منها فضلاً عن الموقف البريطاني والنتائج المتمخضة، اما الخاتمة فقد تناولت اهم النتائج التي توصل اليها البحث .

*** توطئة:-**

لم تغب عن فرنسا فكرة النكول بتعهداتها مع الجانب السوري،لا سيما بعد ان سلم الفرنسيون جزءاً لايستهان به من المصالح الفرنسية المشتركة* إلى الجانب السوري،ولم يبق إلا الجيش والأمن تسيطر عليه ليكون أداة ضاغطة على السوريين لعقد اي اتفاق تضمن مصالحهم، وفي الوقت الذي كان فيه السوريون في مؤتمر سان فرانسيسكو** ، يتباحثون من اجل مستقبل بلادهم واستقلاله كان الفرنسيون يعملون على اثارة الفوضى العسكرية في البلاد من اجل اعاقة الجهد المبذول وتراجع القضية المذكوره لينالوا ما يبغون، ومن جهة اخرى لم تكن الحكومة السورية غافلة عن تلك المساعي المبيتة ضدهم ، اذ كان الوضع الداخلي اشبه ما يكون بالحرب الداخلية بين قوى الامن السوري والجيش الفرنسي[١]

ففي شباط ١٩٤٥ ،قام الفرنسيون بإثارة الاضطرابات بجبل العلويين مما ادى الى حدوث مناوشات عسكرية بين الشرطة السورية والقوات الفرنسية[٢] ، ولما لم تكن بيد السوريين

قوات عسكرية مكافئة لجأوا في بعض الاحيان الى اسلوب المظاهرات والاحتجاجات التي كانت تطالب بالحاح بأن يكون لسورية جيش وطني يعتمد علية في الدفاع عنهم[٣].

لقد أفرزت هذه الحالة المتوترة بين الجانبين نوعا من الإصرار لكلا الطرفين على ان يحقق هدفهما إلا إن الفرنسيين لما كانوا يمتلكون من قوة عسكرية متفوقة استطاعوا ان يواجهوا الاحداث لصالحهم يدعمهم في ذلك الموقف الدولي الذي كان تحكمة والمصالح لا سيما الموقف البريطاني حيث كانت تحكم الاخيرة روابط ستراتيجية مع فرنسا، قادت بالنتيجة الى ظهور بوادر تنافسية تريد من اجلها زرع النفوذ البريطاني في المنطقة وذلك من خلال كسب الوقت والمساعي الدبلوماسية لا القتال واللجوء للقوة العسكرية .

*** بريطانيا والمفاوضات الفرنسية- السورية :-**

بعد أن قامت قوات الحلفاء بانزال قواتها في فرنسا بتاريخ ١٩٤٤/٦/٦ زادت حدة التنافس الخفي بين فرنسا وبريطانيا مما حدا بالدولتين إلى إيجاد طرق تضمن لهم التقارب الاستراتيجي ويحافظ على مصلحة الدولتين في الشرق الاوسط بشكل عام وسورية ولبنان بشكل خاص ،وقد تمخض عن هذا الاندفاع تغييرات سياسية مهمة تمثلت بعقد اتفاق بين الطرفين تقاسما فيه مناطق النفوذ [٤].

وبادئ ذي بدء جرت مفاوضات بين الحكومة السورية والسلطات البريطانية واتخذت هذه المفاوضات شكل المذكرات او الرسائل المتبادلة تناقش فيه الاتفاق المذكور،وخلال هذه المذكرات كانت سورية مصرة على ان لا تكون لفرنسا امتيازات استثنائية في سورية ، وأشار بذلك رئيس جمهورية سورية شكري صراحة عندما التقى وفد الحكومة البريطانية في مقره شفوياً، ومما دفع الحكومة السورية على اتباع هذا السلوك رغبتها في الاستقلال التام ،لا سيما وان استقلالها في تلك المفاوضات كان معترفاً به من جانب دول لها ثقلها السياسي مثل الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي والدول العربية فضلاً عن بريطانيا[٥] ، وهنا اشارة واضحة الى تقاطع المصالح السورية مع اي اتفاق يمكن ان يبرم مع فرنسا ، وقد ارسل وزير خارجية سورية جميل مردم رسالة بهذا المعنى إلى وزير الخارجية البريطاني ايدن ، بعدها قامت وزارة الخارجية البريطانية بارسال مذكرة الى المفوض البريطاني في سورية الجنرال(سبيرز) اكدت فيه على ان تقوم الدول المنتدبة بإبرام اتفاق مع الدوله التي كانت تحت الانتداب لتوضح من خلاله مدى التعاون الاستراتيجي والمستقبلي بين الطرفين ،وبخاصة بعد عام ١٩٤١ عندما منحت كل من سورية ولبنان وعداً بالاستقلال ، اذ ارادت بريطانيا من هذا التعاطي ان تضع حداً للاتفاقات السرية بين فرنسا ودول المشرق بصورة عامة ، ومن جانب اخر ارادت ان تمسك منتصف العصا بين الفرنسيين و السوريين وذلك لما تقتضيه ضرورات الحرب المشتركة [٦] .

وبهذا الصدد كان رئيس جمهورية سورية شكري القوتلي قد بعث برسالة الى الرئيس الامريكي روزفلت والى ستالين فضلاً عن رئيس الوزراء البريطاني تشرشل طالباً منهم دعم موقفه في عدم الاعتراف بافضلية فرنسا في سوريا[٧]

وفي شباط ١٩٤٥ غادر شكري القوتلي سوريا متوجهاً الى القاهرة للقاء كل من تشرشل و وزير خارجيته ايدن وبعد وصوله تشاور معهم في امكانية استقلال سوريا التام من فرنسا وتدخلاتها ، وفي الوقت نفسه ارادت فرنسا ان تقدم بعض المقترحات التي من شأنها ان تقارب بين الطرفين الفرنسي والسوري ، اذ حددت – وبحسب رأيها – ما هو مقبول وما هو غير مقبول حينها اعربت بريطانيا عن موقفها ازاء المقترحات واعلنت موقفها الى جانب سورية وان المواقف السياسية يجب ان لا تسير بالإكراه [٨] .

ثم التقى مع الملك فاروق والملك السعودي عبد العزيز وللغرض المذكور نفسه[٩] .

وتمخض عن هذه اللقاءات بيان ألقاه تشرشل في مجلس العموم البريطاني وذلك في ١٩٤٥/٢/٢٧ اوضح من خلاله ما قامت به الحكومة البريطانية من جهد واضح لتامين علاقات حسنة بين الفرنسيين والبريطانيين وتوجيه الامر نحو تسويه ايجابية وذلك لما لبريطانيا من علاقات مشتركة مع الفرنسيين تمتد رصانتها القانونية الى بيانات عام ١٩٤١ بشأن استقلال دول الشرق ، كما وان بريطانيا مصممة على ان تبذل جهداً اضافيا للمحافظة على وضع فرنسا الخاص ، واشار كذلك من خلال

البيان الى عدم وجود تعارض بين فكرة وجود استثناءات فرنسية في سوريا واستقلال الاخيرة التام، وبهذا الشان قدم تشرشل مقترحا يقضي بوضع المبدأين الأساسيين (احتفاظ فرنسا بمركز متقدم واستقلال سوريا) تحت مسؤولية اممية تشارك فيها الدول العظمى الاخرى كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي لترى وجهاً للحل[١٠] .

وهكذا نستطيع القول : إن موقف بريطانيا من استقلال سوريا قد تبدل وتعددت التصريحات بشأنه ، ولهذا تحملت بريطانيا وحدها وزر مجابهة الفرنسيين والسوريين في ايار عام ١٩٤٥ ، علماً ان سوريا في هذه الاثناء قد لاقت تأييداً من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية[١١].

كان البريطانيون يبررون مواقفهم تلك ، بأن الحرب لم تضع أوزارها بعد وعليه فان استتباب الامن في تلك المناطق مهم بالنسبة للطرفين الفرنسي والبريطاني ، كما كانوا يتظاهرون باحترام ميثاق الأطلسي الخاص بتقرير مصير الشعوب ،ويبدو ان ذلك جزء من الصراع الخفي بين فرنسا وبريطانيا على مناطق النفوذ [١٢] .

على الرغم من أن البريطانيين يكررون بأنهم لا يريدون ان يحلوا محل الفرنسيين في سوريا ، إلا أنهم خططوا لذلك بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال ضم سوريا الى الجامعة العربية التي تنماز فيها بريطانيا بنفوذ واضح [١٣] .

فضلاً عن ذلك فهناك اسباب اخرى جعلت بريطانيا تنتهج هذا المنهج الخفي لمواجهة اطماع فرنسا في المنطقة بالاضافة الى المد الشيوعي في سوريا الذي أخذ مأخذاً لا يستهان به وان وصولهم للسلطة ليس مستحيلاً [١٤] .

*** الاستفزازات العسكرية المباشرة :-**

وفي سلوك أراد الفرنسيون من خلاله انهاء الامر لصالحهم في سوريا غادر المندوب السامي الفرنسي الجنرال (بينه) ، الى فرنسا في اذار ١٩٤٥ لأجراء بعض المشاورات مع حكومته ، حيث اشتد ساعد الاخيرة وأصبحت تتسلم مهام امورها العسكرية والبرية والبحرية ،وعاد بعد شهرين حاملا بعض التعليمات التي تقضي بأجراء مفاوضات مع الجانب السوري مقرراً بدأها في ١٩٤٥/٥/١٩ وقد اعلنت الحكومة الفرنسية ذلك رسمياً في ١٩٤٥/٥/٧ ، غير ان هذا التاريخ شهد انزالاً عسكرياً في بيروت مما اعتبرته الحكومة السورية انتهاكا لسياستها واستقلالها وانه دلالة على أن فرنسا تريد اللجوء الى القوة والتهديد قبل بدأ المفاوضات المزعومة ، وكانت الحرب قد انتهت مع المانيا في ١٩٤٥/٥/٨ ويبدو ان فرنسا قد استفادت من هذه المتغيرات بشكل ملحوظ ، ففي ١٩٤٥/٥/١٧ زار (بينه) رئيس جمهورية سوريا وقدم له جملة من المقترحات التي كانت تصب جميعها في خدمة المساعي الفرنسية ومن بين اهمها ان فرنسا على استعداد تام لتسليم الوحدات العسكرية الفرنسية الى سوريا مع بقائها تحت القيادة الفرنسية العليا بحجة ان سوريا لا زالت غير قادرة على ادارة الأمور الأمنية في البلاد ، وان تقوم تلك الوحدات بمراعاة مصالح فرنسا الجوهرية في سوريا [١٥] .

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول : إن الفرنسيين كانوا مصرين على تأمين مصالحهم التي كانت تنطوي تحت الصراع الخفي بينهم وبين بريطانيا حيث يعد ذلك وجهاً من وجوه الصراع على تقسيم النفوذ في المنطقة لما تتمتع به هذه المنطقة من مقومات ثبات المكتسبات والتي تتمثل بالعناصر الاجتماعية والثروات الطبيعية وهو في الوقت نفسه اعادة لما طرح باتفاقية سايكس- بيكو المعروفة.

ولم تقف الحكومة السورية امام تلك الاستفزازات الفرنسية مكتوفة الايدي لاسيما على الصعيد الدبلوماسي ، ففي ١٩٤٥/٥/١٩ اجتمع الرئيس السوري مع الرئيس اللبناني في شتورة ، وقد أجمعت الحكومتان على أن إنزال القوات الفرنسية دون علم وأخذ موافقة سوريا هو انتقاص لسيادة سوريا ولبنان معاً وعليه فان البلدين قررا ان لا يدخلا بأي مفاوضات مع فرنسا كما قررا توحيد جهودهما لمواجهة التدخلات العسكرية الفرنسية باي شكل من الاشكال [١٦] .

وفي هذه الاثناء ساد جو من التوتر مما جعل السلطات العسكرية الفرنسية أن تتخذ بعض الاجراءات الاستباقية ، وصفها تشرشل بقوله كانت المصفحات الفرنسية وسيارات النقل المحملة بالجنود تجوب شوارع دمشق وحلب ... وكانت الطائرات الفرنسية تحلق على علو منخفض فوق المساجد.[١٧]

ورداً على هذه الاستفزازات اجتمع المجلس النيابي السوري في يومي ٢٠ و ٢٦ /٥/ ١٩٤٥
وتوصلوا إلى قرارات مفادها الرفض بشكل كامل ومطلق لاي مطلب فرنسي يرومون من خلاله الحصول على امتيازات متفوقة [١٨] .

*** المواقف السورية وردود الافعال :-**

وعلى الصعيد الشعبي ، حدث إضراب عام في سوريا احتجاجاً على ما قامت به القوات الفرنسية من اجراءات عسكرية ، كما نشرت الصحف المحلية مقالات تحث الحكومة السورية على استلام زمام القيادة والدفاع عن سورية وهو ذات المطلب الذي هتفت به مظاهرات كانت تجوب شوارع المدن السورية من ١٩-٥/٢٧ /١٩٤٥ في حين ارادت السلطات الفرنسية ارهاب الشعب السوري وذلك من خلال الاستخدام غير التقليدي للدبابات والمصفحات العسكرية لردع المتظاهرين والمحتجين ، الامر الذي ادى الى اشتباكات بين القوى العسكرية الفرنسية والسوريين لاسيما في منطقتي حماة وحلب [١٩] .

وفي الصدد ذاته قام عدد من المواطنين في مدينة حمص باطلاق النار على بعض المعسكرات الفرنسية ، مما حدا بالجنرال الفرنسي في سوريا الى اصدار بلاغ في ١٩٤٥/٥/٢٢ اوضح فيه الاجراءات العسكرية التي يجب ان تتخذ لصد ردود الفعل السورية سواء أكانت ميدانية أم سياسية ، ومن بين تلك الاجراءات الاعتماد على المتطوعين دون العرب ، اذ اشار في بلاغه الى ان المتطوعين العرب لايمكن الاطمئنان لهم [٢٠] .

وما لبثت ان انتشرت أنباء الوسائل والسلوكيات السياسية والعسكرية التي استخدمها الفرنسيون في سوريا حتى اصدرت الحكومة البريطانية مذكرة في ١٩٤٥/٥/٢٧ اعربت من خلالها عن قلقها ازاء ما يحدث في سوريا ، في حين ردت الحكومة الفرنسية في ١٩٤٥/٥/٢٨ بقولها : إنّ ما يجري في سوريا هو نتيجة لاضطرابات قام بها بعض المواطنون السوريون وتأسف لأن الحكومة السورية اتخذتها ذريعة لقطع ورفض المفاوضات مع الجانب الفرنسي ، كما أشارت المذكرة إلى أن فرنسا هي التي ساعدت سوريا على اعلان استقلالها وعليه فان لفرنسا الحق في تنظيم شروط الاستقلال بشكل نهائي وتنظيم العلاقات بين الطرفين [٢١] .

ويتضح من خلال ما عرضته المذكرة الفرنسية الى ان الاخيرة حتى لحظة الأحداث كانت ترغب في فرض سطوتها على الوضع في سوريا ، ويبدو أن ميول الحكومة السورية للجانب البريطاني هو الذي قاد الفرنسيون إلى أن يجعلوا من سوريا ميداناً للصراع الخفي بينهم وبين البريطانيين .

ومن خلال ما عرضته المصادر التاريخية يلاحظ ان الفرنسيين رغم تمسكهم بالجانب الدبلوماسي المتمثل بإصدار المذكرات ونشرها والتي تضمنت مواقف وتبريرات اعمالها في سوريا، إلا أنها من جانب اخر لم تترك الاجراءات العسكرية وهو سلوك لم تتخل عنه طيلة المدة التي خضعت للدراسة ، ففي مساء ١٩٤٥/٥/٢٩ حلقت الطائرات الفرنسية فوق سماء دمشق واخذت تطلق النيران على السكان ، وقد اصابت سجن المدينة مما ادى الى جرح عدد من السجناء ، بعدها هاجمت المؤسسات الحكومية ،كما قامت قوة برية من الجيش الفرنسي بمحاصرة مبنى البرلمان السوري واطلاق النار عليه وقد مارست هذا السلوك في مختلف المدن السورية ، حمص و حلب وحماة [٢٢] .

استمرت الحكومة الفرنسية بسياستها الاستفزازية دون مواجهة حقيقية من شأنها ايقاف ذلك ، الامر الذي دفع الحكومة السورية إلى أن تستمر بضغطها السياسي على الدول ذات الشراكة مع فرنسا ، اذ اوعزت الى معتمدها المفوض في لندن (نجيب الارمنازي) ان يزيد من حالة الحراك السياسي والضغط على الحكومة البريطانية من اجل ايقاف اعمال العنف الفرنسية ضد السوريين وقام المفوض المذكور بابلاغ وزارة الخارجية البريطانية بما يحدث في المدن السورية وانه لابد من تدخل الحكومة البريطانية لايقاف ذلك ، وقد اجابته الوزارة في ١٩٤٥/٥/٣٠ ، بان المستر ايدن وزير الخارجية البريطاني سيجيبه باقرب وقت [٢٣] .

*** الموقف البريطاني والنتائج المتمخضة :-**

ولما ازداد الأمر سوءاً صرح ايدن ان الموقف في سوريا مدعاة قلق وليس هناك عذر لما يحدث في سوريا ، ونحن دائماً نؤكد بأننا لا نريد ان نحل محل الفرنسيين في المشرق، واعقب هذا التوضيح تصريح ثانٍ ألقاه وزير الخارجية البريطاني وذلك في ١٩٤٥/٥/٣١ ، اشار من خلاله الى ان تشرشل رئيس الوزراء البريطاني بعث ببرقية الى الجنرال ديغول ، طلب فيها من الاخير ان يأمر جنوده بالانضباط والكف عن تلك الممارسات العسكرية التي قد تؤثر على مسار العلاقات بينهما وأوضح فيها أن منطقة سوريا ولبنان تعد من المناطق الإستراتيجية بالنسبة لنا والحرب لا زالت قائمة ، كما اشار برسالة الى أنه طرح مقترحاً مفاده عقد حوار ثلاثي يجمع الحكومة البريطانية والفرنسية والسورية في لندن للخروج بحل يرضي الاطراف المشاركة، وقد تمخض عن هذه المداخلات ان توقف اطلاق النار في مساء يوم ١٩٤٥/٥/٣١ [٢٤] .

وبتاريخ ١٩٤٥/٦/١ قام كل من الجنرال (باجيت) القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الاوسط مع (الن شو) وزير بريطانية المفوض في سورية والجنرال (بيلون) قائد سلاح الجو البريطاني ، بزيارة الرئيس السوري شكري القوتلي في داره واخبره بموقف رئيس الوزراء البريطاني المتمثل بالتدخل عسكرياً إزاء ما يحدث في سوريا لوقف القتال ، فصدرت الاوامر للقوات البريطانية بالدخول واحتلال المدن السورية الرئيسة فضلاً عن المواقع الفرنسية وفي الوقت نفسه قامت القيادة الفرنسية في المنطقة بإبلاغ الجيش الفرنسي بعدم الخروج الى شوارع المدن السورية الا بالضرورة القصوى [٢٥] .

ومن خلال ما تقدم يتضح ان البريطانيين حرصوا على ان لا تسجل ضدهم اي حالة خلاف مع الجانب الفرنسي لاسيما في منطقة الشرق ، حيث لاتزال الحرب قائمة مع الجانب الياباني واي حالة من حالات الصدام بين الجانبين قد تؤثر على سير المعارك الدائرة مع اليابان.

انزعج الفرنسيون ازاء ما قام به البريطانيون من مواقف ، وانتقدوهم بشكل واضح ،وقالوا (الفرنسيون) ان البريطانيين اتخذوا تلك الاجراء من قبل وصول تعليمات تشرشل بوقف اطلاق النار وقام ديغول بإلقاء كلمة في ١٩٤٥/٦/٢ امام المجلس النيابي الفرنسي عرض فيها حقوق الفرنسيين في المنطقة ودافع عن سلوكها وبرامجها، [٢٦].

وعلى أي حال فمن الواضح ان الحكومة السورية اصبحت مقتنعة وبدرجة عالية بأنها لا تستطيع استئناف المفاوضات مع الجانب الفرنسي طالما ان قوات الاخيرة مرابطة في البلد .

وترسخت مسألة جلاء الجيوش الاجنبية في الارض السورية اكثر مما هو عليه قبل شهر أيار وأيد هذا الأمر بعض الدول العربية ممثلة الأعضاء في الجامعة العربية ، فقد اتخذت الاخيرة قرارا مفاده أن الجامعة تؤكد مطالب سورية بجلاء القوات الفرنسية فوراً من سورية [٢٧] .

الا ان سوريا كانت تفضل انسحاب القوات الفرنسية قبل القوات البريطانية من اراضيها في حالة بدء الجلاء ، وهذا يعني ان السوريين كانوا متخوفين من بدء الاعتداءات ثانياً فمن الذي يقوم بردعها غير القوات المتكافئة [٢٨] .

وفي ١٩٤٥/٦/٢٤ ، قدم (بول بونكور) الى رئيس المؤتمر سبان فرانسسكو مذكرة اوضح فيها ان فرنسا واثقة بميثاق الامم المتحدة ، وطلب تشكيل لجنة للتحقيق بحوادث الشرق(سوريا) [٢٩] .

ويتضح من خلال ما تقدم ان الفرنسيين أرادوا مراراً استنزاف الوقت ليحول الامر لصالحهم وعلى اقل تقدير اقناع السوريين بفكرة التفاوض من اجل الوصول الى امتيازات متفوقة في المنطقة .

ثم ارادت فرنسا بعد الوضع المأساوي الذي حل بها وبهيبتها في احداث ايار ١٩٤٥ انها مجبرة ان تحمي الحاجز الذي كان يحول دونها ودون الظفر ببعض المكاسب والامتيازات من الحكومة السورية ، الا ان الحكومة رفضت اي اتصال بالفرنسيين بعد العدوان وجاء الكونت استروروغ يحمل مقترحات جديدة بتسليم القطع الخاصة وانسحاب القوات الفرنسية والبريطانية معاً وكان ذلك مرفوضاً ايضاً [٣٠] .

وفي ١٩٤٥/٧/٨ جرت محادثات في لبنان حول الوحدات العسكرية المحلية وقد حصلت الدولتان السورية واللبنانية على ما كان يرتئيانه من تأسيس جيش وطني واعلنت الحكومة الفرنسية انها مرتاحة لاستقلال سوريا وانها دولة ذات سيادة كاملة، وعليه قامت الحكومة الفرنسية بتحويل امرة الوحدات

الخاصة الى السوريين مع اشتراط ان لاتتجاوز مدة الانتقال (٤٥) يوما [٣١] .

بعدها قامت الحكومة الفرنسية في ١٩٤٥/٨/١٤ بتسليم القطعات الخاصة الى الحكومة السورية واصبحت تلك القوات تحت إمرتها ، عندها تم البدء بتشكيل الجيش السوري الوطني وجرت المفاوضات العسكرية بين الجانب السوري والفرنسي وامتدت المفاوضات من ٢ – ٦ /١٩٤٦/٣ وفي هذه المفاوضات بدأ تحديد الجلاء النهائي من سورية وكان ذلك في نيسان ١٩٤٦ وتم ذلك الانسحاب بصورة لا تشرف دولة عظمى كفرنسا، بينما بقيت القوات البريطانية مرابطة في سوريا، وهكذا خرجت القوات الفرنسية من سوريا تحت تأثير المتابعة السياسية للحكومة السورية والضغط العسكري البريطاني [٣٢] .

***الخاتمة**

بعد هذا السرد الموجز للتنافس الخفي بين فرنسا وبريطانيا في سورية بين عامي ١٩٤٤-١٩٤٦ ، نستطيع ان نسجل اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة .

ان احد اهم المبررات التي دعت البريطانيين الى التعامل بحذر وتنافس متوتر مع الفرنسيين هو بعد تمكن الحلفاء من ارجاع فرنسا الى الحلف وذلك بتاريخ ١٩٤٤/٦/٦ ، نجد ان ذلك لم يثن الدولتين في ايجاد حلول سياسية تضمن لهم مصالح الطرفين في سورية .

كانت المفاوضات المحور الأساس الذي تعلقت به الاطراف الثلاثة (فرنسا،بريطانيا،سوريا) من اجل اشباع حاجاتها الاستراتيجية، واتخذت تلك المفاوضات شكل المذكرات او الرسائل المتبادلة، اذ كانت الأطراف المعنية تدرك جيداً ان الخيار العسكري سوف ينهي جهدهم الذي بذلوه وحصلوا من خلاله على امتيازات بالإمكان تحسينها .

ان اسبقية احتلال فرنسا لسورية جعل السوريين يتوجسون الحذر والقلق من الفرنسيين ، لاسيما وان الاخرين اتبعوا سياسات شوفينية وعدائية ضد الشعب السوري وصار من الصعب ازالة تلك الصورة المؤثره وهذا سبب تفضيل السوريين للبريطانيين على الفرنسيين.

ضربت فرنسا كل القيم والاعتبارات الدولية عرض الحائط من خلال سياستها ونهجها في سوريا سيما وان القضية السورية كسبت تأييد دول الحلفاء وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية و بريطانيا و روسيا وبعض الدول العربية ،الامر الذي يؤكد ان التنافس بين بريطانيا وفرنسا هو للهيمنة على المنطقة من اجل كسب المصالح .

ان موقف بريطانيا أزاء التحركات السورية الرسمية من اجل الاستقلال كان متذبذباً إلا أنها أخيرا تحملت أعباء مجابهة الفرنسيين في سوريا في ايار ١٩٤٥.

يلاحظ ان البريطانيين كانوا يكررون انهم لا يريدون زرع نفوذهم في سوريا بدلاً من النفوذ الفرنسي الا انهم كانوا يخططون لذلك بصورة غير مباشرة وذلك من خلال ضم سوريا الى تجمع عربي متمثل بالجامعة العربية ، الذي لبريطانيا النفوذ الواضح فيها، الامر الذي يؤكد التنافس البريطاني الفرنسي الخفي في المنطقة .

ان الفرنسيين اصروا على تأمين مصالحهم التي كانت تنطوي تحت الصراع الخفي بينهم وبين البريطانيين، حيث يعد ذلك وجهاً من وجوه الصراع على تقاسم النفوذ في المنطقة لما تتمتع به هذه المنطقة من مقومات ، والتي تتمثل بالعناصر الاجتماعية والثروات الطبيعية وهو في الوقت نفسه إعادة لما طرح في اتفاقية سايكس – بيكو المعروفة.

لم تقف سوريا مكتوفة الايدي امام الاستفزازات الفرنسية بل اخذت تعمل على الحد منها الا انها اختارت العمل الدبلوماسي لهذا الغرض وربما يعود السبب في ذلك الى عدة امور منها افتقار معادلة القوى الى المساواة والتكافؤ فضلا عن عدم وجود تأييد عملي للقضية السورية ، فأغلب الدول الأوربية والولايات المتحدة الامريكية كانت تؤيد من خلال الخطاب السياسي الرسمي دون التحرك العملي .

كان للمجلس النيابي السوري الدور الواضح في تحجيم المطامع الفرنسية في سوريا وذلك من خلال مطالبته وبشكل مطلق بعدم اجراء اي مفاوضات مع الجانب الفرنسي من شأنها ان تجعل فرنسا في موقع متميز على الصعيد الاستراتيجي في سوريا .

ان الفرنسيين رغم تمسكهم بالجانب الدبلوماسي إلا أنهم من جهة اخرى لم يتخلوا عن الإجراءات العسكرية التي تضمن لهم مصالحهم في المنطقة ، الامر الذي يكشف زيف الحكومة الفرنسية في التعاطي مع المفاوضات وحسن النيه.[٣٣]

(*) كانت المندوبة العامة في سوريا قد أنشأت وأدارت في عهد الانتداب مصالح مشتركة ، مثل مصالح الكمارك ومراقبة الشركات ، ومراقبة حصاد التبغ ، والأشغال العامة ، والبرق والبريد ، ودار الآثار ، ومراقبة السكك الحديدية ، ومصلحة العشائر ، والدفاع والأمن العام .

(**) في٢٥/نيسان/١٩٤٥ اجتمع مندوبو ٥٠ دولة في سان فران سيسكو وصاغ المجتمعون ميثاق الأمم المتحدة المكون من (١١١) مادة ، اعتمد بالاجتماع في ٢٥/حزيران/١٩٤٥ وفي اليوم التالي وقعوا علية في مسرح هيربست ،وبعد هذا الاجتماع مقدمات لتأسيس الامم المتحدة . ولمزيد من التفاصيل ينظر : \www.un.org\..\charter.

(١) دار الكتب والوثائق في بغداد ، تقارير المفوضية العراقية في دمشق إلى وزارة الخارجية ، سري ، ١٢٠/١٦/٦، في ٢٢ شباط ١٩٤٥م و ٧٩ : ص١٥٦

(٢) المصدر نفسه ، و٧٩ : ص١٥٧

(٣)المصدر نفسه ، و٧٩ : ص١٥٨

(٤) العياشي ، غالب ، تاريخ سوريا السياسي من الانتداب إلى الانقلاب ١٩١٨ – ١٩٥٤.

(٥)علوان ، إبراهيم ، مشكلات الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٨٦م : ج١ / ص١١١

(٦) الأرمنازي ، نجيب ، سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٣ : ص١٧٩ – ١٨٢ .

(٧)المصدر نفسه : ص١٨٥ .

(٨)المصدر نفسه : ص١٨٦ .

(٩) الزركلي ، خير الدين ، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ط٥، بيروت ، ١٩٨٨ : ص٢٧٢ – ٢٧٣ .

(١٠) جمعة ، أحمد محمود ، الدبلوماسية البريطانية وقيام جامعة الدول العربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٥ ، بيروت ، ١٩٨٣ : ص٩٤ .

(١١) العدول ، جاسم محمد حسين وآخرون ، تاريخ الوطن العربي المعاصر ، الموصل ، ١٩٨٦ : ص١٧٢ .

(١٢) الكبيسي ، باسل نصيف جاسم ، التطورات السياسية في سوريا ١٩٢٠ – ١٩٤٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي العربي ، اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ٢٠٠٣ : ص١١٣ .

(١٣) سيل باتريك ، الصراع على سوريا ، ترجمة سمير فلاحة ، بيروت ١٩٦٨ : ص٣٠ ، الشقيري : أحمد ، الجامعة العربية كيف تكون عربية ومتى تصبح عربية ، تونس ١٩٧٩ : ص٣٩ .

(١٤) الكبيسي ، المصدر السابق ، ص١١٣

(١٥) جريدة النهار ، بيروت ، العدد ٣١٣٣ في ٣١ آيار ، ١٩٤٥ .

(١٦)سلامة ، غسان ، المجتمع والدول في المشرق العربي ، بيروت ، ١٩٧٨م : ص٦٠ – ٦١ .

(١٧)قدورة ، زاهية ، تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص٣٦٦ ، والكبيسي ، المصدر السابق : ص١١٥ – ١١٦ .

(١٨)الارمنازي ، سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، المصدر السابق : ص١٨٨–١٨٩ .

(١٩)كيرك ، جورج ، موجز تاريخ الشرق الاوسط ، ترجمة : عمر الاسكندري ، القاهرة ، ١٩٥٧ : ص٢٩٥ .

(٢٠)جريدة النهار ، بيروت ، العدد ٣١٣٣ في ٥ حزيران ١٩٤٥ .

(٢١)البيضاني ، ابراهيم سعيد ، التطورات السياسية في سوريا ١٩٤٥ ٠ ١٩٥٨ . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية / ابن رشد ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٧ .

(٢٢)الكبيسي ، المصدر السابق : ص١١٧ .

(٢٣)لمزيد من التفاصيل يراجع : الليدي سبيز ، قصة الاستقلال في سوريا ولبنان ، ترجمة منير البعلبكي ، بيروت ١٩٤٧ .

(٢٤).جامعة الدول العربية : محاضر جلسات الدورة الأولى ، الجلسة الأولى المنعقدة في ٤ حزيران ، (يونيو) ٩٤٥ ، ص١–٢

(٢٥)الكبيسي ، المصدر السابق : ص١٢٠

(٢٦)الأرمنازي ، سوريا من الانتداب إلى الاستقلال ، المصدر السابق ، ص١٩٣ – ١٩٤ .

(٢٧)جامعة الدول العربية ، مجموعة قرارات جامعة الدول العربية ، ج١ ١٩٤٥ – ١٩٥٥م ، الأمانة العامة ، القاهرة ، مطبعة الصباح ، د . ت : ص٤ .

(٢٨)لنشكوفسكي ، جورج ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ، ١٩٦٥م : ص٦٢ – ٦٣ .

(٢٩)الأمنازي ، نجيب ، ست سنوات في الدبلوماسية ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص٩٥ – ٩٦ .

(٣٠)حاطوم ، نور الدين ، محاضرات عن الحركة القومية العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ : ص١١٠ .

(٣١)جامعة الدول العربية ، مجموعة قرارات مجلس جامعة الدول العربية ، المصدر السابق : ص٩ – ١٠ .

(٣٢)عز الدين ، نجلاء ، العالم العربي ، ترجمة محمد عوض وآخرون ، القاهرة ، ١٩٥٣ : ص٢٢٠ .

٣٣